

استراتيجيات تفعيل النص وتحقيق المعنى عند محمد بوعزة
استراتيجية التأويل - من النصية إلى التفكيكية- أنموذجا
مقاربة نقدية.

**Strategies to activate the text and verify the meaning of
Mohamed Bouazza
Interpretation strategy - from textual to deconstruction - a
model
critical approach.**

د.هارون لعبيدي*

جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي (الجزائر)

Haroun.labidi@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2022-01-27	تاريخ التقييم: 2022-03-13	تاريخ القبول: 2022-06-15
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص:

تهدف هاته الورقة البحثية إلى تقديم مقاربة نقدية لكتاب استراتيجيات التأويل من النصية إلى التفكيكية، للباحث المغربي محمد بوعزة، الصادر بالاشتراك بين داري الأمان-المغرب، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، سنة 2011، انطلاقا من محاولة تحديد أهم الحركات التعاضدية، التي تأسست عليها القضايا المعالجة، وكذا أهمية أبعاد هاته الحركات في تحقيق معنى النصوص الأدبية، ووصف الاشتغال على تطورها، إضافة إلى البحث في عمق الموازنة بين الاستراتيجيات المتعاضدة، وانتقالها بين نظرية وأخرى، ومن منهج إلى آخر، حسب ما تقتضيه متطلبات التحولات المعرفية في كل مرة.

كلمات مفتاحية: استراتيجيات؛ تفعيل النص؛ تحقق المعنى؛ استراتيجيات التأويل؛ من النصية إلى التفكيكية؛ محمد بوعزة؛ مقاربة نقدية.

Abstract:

* المؤلف المرسل

This research paper aims to present a critical approach to the book Interpretation Strategy from Textual to Deconstruction, by researcher Mohammed Bouazza, jointly published by Dari Al-Aman - Morocco, and Al-Dakhtif Publications - Algeria, in 2011, based on an attempt to identify the most important mutualistic movements, on which the issues addressed , as well as the importance of the dimensions of these movements in achieving the meaning of literary texts, describing the work on their development, in addition to researching the depth of harmonization between mutually reinforcing strategies, and their transfer between one theory and another, and from one approach to another, as required by the requirements of cognitive transformations each time.

Keywords: strategies; text activation; check meaning; interpretation strategy; from textual to deconstruction; Mohammed Bouazza; critical approach.

1. مقدمة:

تمثل كينونة النص أحد أهم المبادئ العامة، والقضايا الرئيسية لأغلب الرؤى النقدية (الجدائية/بعد الجدائية)، وما استحضارها في الجانب العملي إلا تقص وتحسس للسبل المؤدية إليه/ما وراءه، ونظرٌ في إعمال الآليات التي تتضح بها التصورات ضمن كل بعد علائقي، يتكشف من وراء حجاب: التجانس/اللاتجانس، الرفض/القبول، الذاتي/العام...

وفق هذا التصور يتحدد دور معالجة كينونة النص/المعنى كمعطى، في الحفاظ على المسافة بين الاعتبارات الإجرائية المفترضة والضرورية من جهة، وبين اتساع آفاق هاته الكينونة وفعاليتها من جهة أخرى.

يمكن للأفكار السابقة تحويل معنى معالجة القضية المطروحة، من محاولة الاشتغال على تأكيد وفعالية كينونة النص/المعنى في عملية المقاربة، نحو ضرورة الإشارة إلى طبيعة هذه الكينونة وتعددتها، وآليات إدراكها والاشتغال على تحقيقها بعيدا عن كل المؤثرات الناتجة حركية الأنساق، وتحولاتها وتعددتها.

هذا المعطى قائم على تقريب المحددات العامة المتداولة، التي يمكن الاعتماد عليها لبناء تصور -من منظور- ما لاستراتيجية تأويلية، تصور لا يقف عند توصيف الجهاز المفاهيمي للنص/المعنى ضمن الأطر التي تحكم تشكيل كينونته، بل يتعداها إلى كونه تقريبا للبعدين السابقين وفق رؤية تخضع فيها الكينونة والاستراتيجية معا لتفعيل الحركات التعاضدية الرابطة بينهما.

انطلاقا من هذا التصور سنحاول الاقتراب من التعاضد النصي كآلية تأويلية ومفهوم نقدي ضمن الجهاز المفاهيمي التأويلي، من خلال رؤية محمد بوعزة في كتابه: استراتيجية التأويل -من النصية إلى التفكيكية- وسعيه إلى ضبط أطره المنهجية والإجرائية.

2. عن التعاضد والمعنى:

إن الحديث عن حركات تعاضدية في كتاب استراتيجية التأويل -من النصية إلى التفكيكية- هو حديث عن فعالية مركب وصفي منهجي، تستدعيه بالضرورة دلالة المصطلح "تعاضد"، التي تحيل على معنى التعاون والتكاتف...، وينتج ذلك عن خطط لا تشير "في مطلق الأحوال، إلى مسار زمني أو منطقي، أي كانت مثاليته، إنما تبين الترابط المتبادل القائم بين الخانات المختلفة.

وأيا كانت الإكراهات التراتبية في النص، فإنها لا تتعلق بالخانات الدنيا: إذ لا يسع المرء الانطلاق من التجلي الخطي، أي أننا لا نقرر تفعيل نص إلا حالما يقترح علينا باعتباره عبارة خالصة. إلى ذلك فإنه لا يسعنا المباشرة في تفعيل النص دون أن نحمل العبارات فيه مضمونا¹، هذا ما تستدعيه الحركات التعاضدية مبدئيا كخطوة سابقة عن الإنتاج الفعلي لمعنى تفعيله كآلية قرائية.

هذه المعطيات غير المنتظمة في حاجة إلى أطر نظرية ومنهجية تنظم حركة مختلف المفاهيم في تعددها وتحولاتها، لتفادي خلط أولويات المقاربة بتمهيش المركزي ومركزة الهامش، وكذا تفادي الانغلاق والأحادية في الرؤية التي عمت المرجعيات الفلسفية الكبرى ذات زمن من خلال: النسق، النص، المنهج...

إن الحركات التعاضدية كاستراتيجيات يتم بواسطتها -عبر تدبر الوسائل المتاحة- التوليف بين معطيات محددة، وإجراءات جاهزة، هاته المؤلفات تقوم على اشتغال تصنيفي وترتيبي، بشكل يجعلها تستجيب لإحداث مماهة بين ما ينتج عن هاته التوليفة من جهة، وبين الغاية منها من جهة أخرى، على نحو يفسر هذه الغاية ويجعلها قابلة للإدراك والاكتناها. ولعل ما يضمن فاعلية هذه التعاضدية كحركات استراتيجية في كتاب استراتيجية التأويل، هو قيامها على إسناد أنساق أو استراتيجيات قرائية، إلى أنساق أو استراتيجيات قرائية أخرى، حيث تتوافق إمكانات كل منها بإزاء بعضها البعض، وتتكامل، للوصول إلى بعض ما يتفق عليه دريدا وبعض النقاد الآخرين من "رفض فكرة المعنى الواحد، وتأجيل المعنى، وفق وليم راي، وفتح المجال أمام تعدد القراءات، والقول بوجود قوى بناء وقوى تفكيك في داخل لنصوص أو الخطابات، والدعوة إلى التوجه نحو الخطابات ومحاولة القبض على تناقضات الخطاب"² من جهة.

ومن جهة أخرى رفض المختلف عليه وما يسهم في تعميق فجوة تحويل القراءة "التفكيكية إلى ما أسماه دريدا "لا قراءة"، أو "إساءة قراءة" Misreading، فهذا يوقع في إشكالية عدم دقة المنهج، حتى لو اعتقد منظرو التفكيك بأن التفكيك ليس منهجا وإن كنت أعلم أن اعتراف دريدا بأن التفكيك ليس منهجا هدفه منح مزيد من الحرية للقارئ وعدم رغبته في احتواء التفكيك أو تدجينه. ناهيك بأن تصورا كهذا يفتح المجال لكل الاحتمالات القرائية، وكأنه يدعو إلى نقض النص نفسه وإلغاء سلطته، ومن ثم فسلطة القراءة لاغية لا محالة"³، والعودة بذلك إلى التعامل مع النص بالطريقة التقليدية في بعدها غير الناضج إجرائيا.

إن النص وفق هذا التأطير التفكيكي تكتنفه تجاذبات تسعى لضرب مركزية اللوغوس وزعزعة ركانزه، وهو ما يحول تفعيل النص وتحقق المعنى إلى معطى ضمن هذا المد والجزر الفكريين، ويجعلهما عرضة للتحقق والتفعيل بشكل مشوّه، أو يؤجلهما إلى حين فاضا منطق هذه التجاذبات.

في ضوء المفهوم الدينامي السابق لمصطلح التعاضد -وفقا لما قدمه محمد بوعزة- رهان التأويل "متناهيًا، يقف عند لحظة معينة من سيرورة القراءة، لإضفاء معنى على النص، مسوغ نظريًا، لتحقيق درجة مقبولة من الملاءمة والمقبولية"⁴. كرهان قائم من أجل تحقيقه.

والحال أن مقارنة تحقق المعنى وفق هذا الاشتغال، تكون -داخل المدونة- انطلاقًا من الاصطدام بحركة تعاضدية كبرى، ومواجهة روافدها المختلفة، وبنياتها المتباينة والمتداخلة. ويمكن تلمس هاته الحركة في قول محمد بوعزة: "يتجاوز "إيكو" البرنامج الآلي الذي يطابق قصدية النص بمقاصد الكاتب الفعلي، نحو صياغة مفهوم جدي ودينامي يدمج قصدية القارئ وقصدية النص في نسق تفاعلي، يلغي من جهة ثانية التعارض بين الاتجاه البنيوي (قصدية النص) والاتجاه ما بعد البنيوي (قصدية القارئ). يسمي إيكو هذا النسق التفاعلي بـ "التعاضد النصي"⁵، الذي تتموضع في تمفصلاته حركات تعاضدية أخرى صغرى.

3. التعاضد فيما بعد البنيوية:

في مرحلة ما بعد البنيوية بدت التعاضدات المنهجية الفاعلة في تحقيق المعنى، وفق تقديم محمد بوعزة للدلالة في الإبستيمي ما بعد البنيوي، أين تغيرت الرؤى واختلفت الأبعاد، وظهرت حركة تفكيكية للبنيوية منطلقة من داخلها، كرد "فعل حذر لميل الفكر البنائي إلى استئناس تبصراته وتأهيلها لتكون في مستوى فهم العامة... الأمر الذي يخدم تجميد لعبة المعنى في السياق وقصره على نطاق طيع هين فقط"⁶.

هذا ما يجعل ما بعد البنيوية، حركة تطويرية للكثير من التصورات السائدة، للانتقال من الرهان على النزعة النسقية ورؤيتها للنص، كتجل لبنية مجردة عامة، والبحث في المشابهة والانسجام، إلى خصوصية هذا النص الذي تميزه عن غيره من النصوص علة (ما لا يقال)، بمعنى أنه "ليس ظاهرًا في السطح، على صعيد التعبير: على أن ما لا يقال هذا هو الذي ينبغي أن يفعل على مستوى تفعيل المضمون. وهكذا يكتسب نص ما، بطريقة أظهر من أية رسالة أخرى، حركات تعاضدية فاعلة، وواعية من جانب القارئ"⁷ خارج الرؤية الاختزالية والطابع الشمولي، ومن ثم المراهنة على البحث في التغيرات والاختلاف.

1.2 الثنائيات والاندغام:

انطلاقاً من اشتغال جاك دريدا على تفكيك التصور البنيوي من الداخل، بحكم كون التفكيك "حركة بنيوية، أو، بأية حال، حركة تضطلع بضرورة معينة للإشكالية البنيوية. ولكنه أيضاً حركة (ضد بنيوية) وهو بدوره يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس، وكأن الأمر يتعلق بحلّ، بفكّ، بنزع رواسب البنيات، جميع ضروب البنيات (لغوية وتمركزية لوغوسية، وتمركزية صوتائية، بما أن البنيوية كانت يوماً خاضعة وبخاصة إلى نماذج لغوية)⁸؛ أي علم اللغة أو الألسنية السوسيرية.

يتضح أنه بحكم "الأثار اللسانية لمفاهيم القيمة والنسق والتزامن، ترسخ البنيوية فصلاً بين الداخل والخارج، وتعتبر مشروعها مقاربة داخلية للأنساق؛ وبالتالي عملت على نفي "الخارج" من فردوس البنية"⁹، هذا الترسخ للفصل بين الداخل والخارج، يستثمر فيه دريدا لتجاوز الصراع الدراماتيكي، لتحديد ما هو داخل وما هو خارج الأدب، للقيام بهما كطرفي ثنائية تتولد عن اجتماع عناصرها حركة تعاضدية موحدة.

هاته العناصر "لا تنقسم بهذا الوضوح الساطع داخل وخارج، لأنها ترتبط بعلاقات معقدة. فلا وجود لداخل خالص، ولا لخارج خالص، بمعزل عن شبكة العلاقات المتداخلة"¹⁰، فقد يشتغل عنصر خارجي بشكل أكثر جوهرياً مما يمكن عده عنصراً داخلياً، والعكس، فما يبدو داخلياً وأكثر مركزية قد يفقد دوره بالنظر إلى خصائص العمل الأدبي، وهو ما حدث فعلاً مع بعث الاشتغال على عزل النص عن مؤلفه، وكذا تقويض مركزية ضرورة عدم التناقض لضمان التحقق من جهة، وتأكيد التفعيل من جهة ثانية.

هذا ما تؤكد إحدى زوايا النظر التي كثيراً "ما تفسر القراءات التفكيكية على أنها هجوم على الكتاب الذين تناولهم لأنها تكشف عما عندهم من تناقضات مع أنفسهم أو عن وجود عوامل تفكيك ذاتية في كتاباتهم، لأننا اعتدنا على أن التناقض مع الذات يفسد القيمة الفكرية لجهودهم"¹¹، وهذه الخلطة في مركزية آليات القراءة هي ما أسهم فيما بعد في التنظير لاستراتيجية القراءة وفق رؤية مغايرة ومختلفة كما يسميها دريدا نفسه بقصد رفع الفكر التفكيكي والإعلاء من الهامش أحياناً.

في "هذا المنحى التفكيكي يستغني "دريدا" عن هذه الثنائية الميتافيزيقية، وينحت مفهوم "الاندغام" invagination للدلالة على العلاقة المعقدة بين الداخل والخارج"¹²، فتحقق المعنى انطلاقاً من هذا المفهوم متحرر من كل ما هو فوق أو خارجي، ما يجعله قابلاً للاكتمال بتوافق الأطر العلائقية والحركات التعاضدية التي تحدث داخل الكتابة ذاتها، من غير أن يسبقها ولا أن يلحقها، فلحظة تفعيلها كنص يوثق لحظة ولادته خارج حدود الانغلاق والنهائية.

إن هذا التحول في المفاهيم كمسوغات نظرية في ظل النقد التفكيكي، جعل يد دريدا تمتد أيضاً للاستمرار في تقويض وإعادة بناء التصورات البنيوية، وفقاً لاستراتيجية التعاضد، إنه يستغني بهاته الحركات التعاضدية -مرة أخرى- عن المفهوم البنيوي لثنائية الحضور/الغياب، التي تم تطويرها من طرف البنيويين انطلاقاً من تصور دي سوسير عن الدال والمدلول، فقوض يقينية الحضور المتصلة بالنص الذي يدعي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة أو اليقينية، أو ما يسميه بالثوابت المعرفية.

كما اشتغل على استحضار الآخر -الذي أقصته فينومينولوجية هوسرل من مفهوم الحضور، وكرس تهميشه في اللوغوس الغربي- إلى جانب الذات وفق الرؤية الجديدة التي مثل لها بـ"حضور الشيء للنظر بوصفه صورة، أو فكرة مدركة، الحضور بوصفه جوهر وجود Ouasia. حضور زمني وتحديد Stigmé لأن أو للحظة nun. حضور الكوجيتو أمام الذات. وعي، ذاتية، الحضور المشترك للذات والآخر والعلاقة بين الذوات Intersubjectivité كظاهرة قصدية للأننا"¹³. فالذات وزمنية الحضور للتجارب المدركة أو التي يتم حدسها، كلها مرفوضة في جوهر الحضور بمفهومه الجديد الواقع خارج مركزية اللوغوس الغربي، وربطها بوعي بالحضور، أو بوعي مماثل يمحو حدود الطرفين، ويقوض كل وعي خلافي يثبت هذه الحدود.

وفي الرؤية الفلسفية المغايرة عملاً على تحويل هذا الحضور بالمعنى السوسيري - الذي يبقي الكتابة تحت مظلة اللوغوس الغربي- إلى غياب، فالغائب في الإبستيمي البنيوي محدد بالحاضر، في حين تفكيكية دريدا اشتغال على نسف هاته العلاقة بين طرفي الثنائية، لأن "هناك معركة بين الفلسفة التي هي دائماً فلسفة للحضور، وفكر اللاحضور

الذي ليس هو بالقوة نقيضا لتلك الفلسفة، ولا تأملا في الغياب السلبي، وكذلك ليس نظرية في اللاحضور باعتباره شعورا¹⁴، مادام الدال لا يمثل ما يدل عليه بشكل مطلق أو يقيني، ومادام هذا المدلول (المعنى) ليس ثابتا؛ أي ليس محددًا بحالة حضورية مطلقة، فإنه في حالة تأجيل دائمة؛ بمعنى أن حالة الحضور البنيوية تحولت في ذاتها إلى حالة غياب.

قاد هذا التوجه نحو الحركات التعاضدية الاستراتيجية بين المفاهيم والآليات الباحث -محمد بوعزة- إلى ضرورة الوقوف على قضية التعدد، بين النص والمعنى، فالتعددية "النصية"، لا تولد من الوفرة العددية التي يتكون منها النص الأدبي، بل تتفجر، بشكل حاسم، من حقيقة أن هذه العناصر تنتهي إلى مقولات ومرجعيات مختلفة¹⁵، تتبدى من خلالها هاته التعددية النصية، بشكل يتجاوز كونها مجرد تقاطعات لاقتباسات، وتحويل لنصوص لها السبق الزمني.

1.3 التعاضد بين النص والقارئ:

التنظير لإثبات تعدد النص والتأكيد على ضرورة تشتيته قضية مطروحة منذ أيزر الذي عقد "إشكالية النص من جديد لأنه يضعنا أمام تعدد النص، قبل تعدد القراءة، فالاتصال العادي، يستند إلى مرجعية يتولى العرف ضبط كفاءتها وإحالاتها، غير أنها منعقدة أو متماهية في النص الأدبي فيفقد التواصل الجمالي الإطار المنظم لعلاقات التفاعل، بين النص والقارئ، ويحيل إلى تماس لا يحركه، ولا ينظمه قانون¹⁶، لتفعيل آلية التعاضد بين مختلف الأنساق والدلائل غير المتماثلة.

عكس ما كان عليه الأمر في البنيوية من اختزال للأنساق إلى الوحدة، وهو ما يقود مباشرة إلى الطرف المقابل للنص، فكونه "فضاء ديناميا لأنساق متعددة، لا ينبغي أن يهمل الاستراتيجية الفعالة للقارئ، في ترهين هذه التعددية. وإذا كانت الدلالة لا وجود لها خارج شرط تأويلها، فينبغي على القراءة أن تؤسس فعلها كإنتاج وممارسة، وليس كاستهلاك¹⁷، وفقا لمفهوم النص في التصور الإبستمولوجي ما بعد البنيوي.

خاصة مع ترهين ميلاد القارئ كاستراتيجية فعالة، في تحقيق إنتاجية القراءة عبر التخمينات التأويلية اللانهائية للمعنى، فيتحدد النص الذي هو في "تصور دريدا آلية

تشثيت (Dissémination) تنتج سلسلة من الإحالات اللامتناهية، ويترتب عن هذا اللاتناهي غياب أي حدود تقييد هذه الممارسة النصية. فالنص في توزع دلالاته وانتشارها الفضائي والزمني ينفصل عن ذات التلفظ وسياقه، أي كل ما يمكن أن يشكل معايير لسانية وسميائية في عملية التأويل¹⁸، من جديد موضوعاً "ينشئه التأويل من خلال الجهد الدائري الذي يؤديه ليُجعل من نفسه تأويلاً صالحاً، على أساس ما يؤلفه كنتيجة له"¹⁹.

ومن هذا المنطلق "أصبح المعنى سيرورة نشاط سيميائي نتج عن فاعلية التعاضد النصي للقارئ"²⁰، ونتيجة لذلك أمكن -محمد بوعزة القول-: إن نظرية التلقي التي تهتم "بالكيفية التي تم بها تلقي النص الأدبي في لحظة تاريخية معينة، ولذلك نجدها تركز على شهادات المتلقين بشأن هذا النص أو بشأن الأدب عموماً، وعلى أحكامهم وردود أفعالهم المحددة تاريخياً، وتعتبرها عوامل حاسمة في تحديد كيفية التلقي في هذه اللحظة التاريخية بعينها"²¹ بينت "أن القراءة، بما هي فعل تفاعل بين القارئ والنص، شرط ضروري لسيرورة إنتاج المعنى؛ وبدونها لا يحقق النص وجوده"²²، وهذا المعنى الناتج قائم على إثبات محايثته للنص، نتيجة التفويض المطلق للقارئ في تفكيكه.

ويمثل أمبرتو إيكو في كتابه القارئ في الحكاية -التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية- للحركات التعاضدية بقوله: "وإذا ما ورد المقطع النصي التالي:

(09) دخل جان الغرفة. (عدتَ إذًا) قالت ماري مندهشة، وبوجه نضر،

فإنه يصير من البديهي أن يفعل القارئ مضمونه (النص) عبر سلسلة بلغة التعقيد من الحركات التعاضدية. ... (ينبغي لنا أن نعتبر (أنت) في استخدام المخاطب المفرد من فعل (كان)، إنما يحيل إلى جان)، على أن حمل هذه الإحالة- المشتركة إلى حال الإمكان إنما هو قاعدة تحادثية يقر القارئ بحسبها، بأنه في غياب الإيضاحات التعاقبية، بحكم وجود شخصين يكون من يتكلم مخاطبياً الآخر. تلك قاعدة تحادث تنضاف إلى قرار تأويلي آخر، هي بمثابة عملية مصداقية يجربها القارئ"²³ هذا التفويض المطلق للقارئ، أوصل تحقق المعنى الناتج عن تفاعل تلك الحركات التعاضدية، وتزامنه مع كونها تمتد إلى مستويات أعمق من الفهم

والتحليل المتصلين بمفاهيم: دينامية النص، إنتاجية القراءة، نسق الإيحاء، لا محدودية السياق، إلى الاصطدام بالطرح القائم على تعدديته ولا نهائيته. يشتغل بعدها محمد بوعزة على إيضاح أنماط التأويل، بناء على ما سبق وأحاطه بالتنظير، بين تأويل مطابق يقول عنه "إذا كان التأويل المطابق لا يهمنا، لأنه يقوم على ما يسميه النقد الجديد بـ "المغالطة القصدية" the intentional fallacy، أي البحث عن دلالة أحادية، سابقة في الوجود على النص، هي الدلالة الحقيقية والأصلية للمؤلف"²⁴.

ليركز فيما يتبناه من تسويغات منهجية -تتوافق مع رؤيته لاستراتيجية التأويل والفلسفات المحيطة بها- على التأويل المفارق الذي "يسلم بتعدد دلالات النص. ومعنى ذلك أن مقاصد النص تفارق -بالضرورة- نوايا المؤلف، ولا تطابقها. إنه يعزل النص عن سياق المؤلف وعن أصله"²⁵، بطبيعته التعددية بين التناهي واللاتناهي، بقوله: "فإننا نسلم بالتأويل المفارق. وسنحاول مناقشة إشكالية التعددية التي يطرحها التأويل المفارق، بتقديم نماذج تمثيلية عن التأويل المتناهي واللامتناهي لاستقصاء أسسهما الإبستمولوجية،..."²⁶.

4. التعاضد في طرح أمبرتو إيكو:

إن تناهي التأويل يرتكز على موقف إبستمولوجي، ينبني في أساسه على التفاعل بين العالم والإنسان، وهذا التفاعل ما هو في حقيقة الأمر، إلا حركة تعاضدية أخرى بين الطرفين، لها دور فاعل في تحقيق المعنى لكن وفق إواليات وقواعد يفرضها منطق النص كونه "نتاج يرتبط مصيره التأويلي (أو التعبيري) بألية تكوينه ارتباطا لازما؛ فأن يكون المرء نصا يعني أن يضع حيز الفعل استراتيجية ناجزة تأخذ في اعتبارها توقعات حركة الأخر-شأن كل استراتيجية"²⁷، تشتغل على التعاضد من أجل التفعيل، وهذه الإواليات انطلاقا من هذه التصورات بإمكانها تحديد ما ينتج من تأويلات ممكنة، وملء الفراغات التي تتضح بناء على استراتيجية الكتابة عند المؤلف.

هذا ما يفضي إلى أن "عملية البناء المعرفي واكتساب المعنى التي تحدد شروط تفاعل الإنسان مع العالم، تحتاج -من منظور علم النفس المعرفي- إلى نسق من المفاهيم

والقواعد²⁸. هاته المفاهيم والقواعد الرابطة بين الإنسان وعناصر الكون، والتي تعمل كضوابط لحرية القارئ المطلقة التي سنها التأويل اللامتناهي، في تأويل النصوص.

هاته الحرية القائمة على استراتيجية: إنه من "أجل قراءة العالم والنصوص قراءة يحكمها الشك، يجب بلورة ما يشبه المنهج الهوسي"²⁹، وتسهم تلك المفاهيم والقواعد في اختيار تأويلات لها روابط دلالية مع نواة النص، تجعلها مرجحة بشكل يجعلها أبعد عن اللانهاية من جهة، وعن الأحادية من جهة أخرى.

وتؤسس هاته التعاضدية بين الإنسان والعالم كاستراتيجية لتحقيق المعنى، في ظل الاشتغال على تطوير كل من الانسجام والنسقية، كخاصيتين قرائيتين نصيتين (بنويتين)، فالقراءة المنسجمة هي نتيجة تطبيق "مقولات متواترة من المقولات الدلالية"³⁰، كالمكان والزمان، والذات، والحدث بعيدا عن الانسجام في مفهومه البنيوي، أين "يجب ربطه بقصد شامل، أي إلى (غاية إنشائية) محايدة لنوع خطاها، وهذا ما يسمح للمتلفظ المشارك بتبني سلوك مطابق تجاهها: إن انسجام النص يتم من خلال سبل مختلفة وهذا وفق طبيعة الملفوظ"³¹.

أما النسقية التي مثل لها أمبرتو إيكو باللغة، فلا يقصد بها إيكو "اللغة كنسق من القواعد النحوية، ولكن مجموع الموسوعة l'encyclopédie التي تشكلت من خلال التمرس على هذه اللغة، ومعرفة الأعراف الثقافية التي أنتجت في سياق هذه اللغة، وتاريخ التأويلات السابقة للنص الذي يقرأ الآن. إنها نسق ثقافي وليست مجرد نسق لساني"³² يحدد مسبقا أشكالاً تعبيرية مختلفة.

وضمن هذا التشكل الجديد للرؤى والمفاهيم، وبالنظر إلى انبناء التأويل على التعارض، بين كونه بحث عن (قصيدة الكاتب)، وبما هو بحث عن (قصيدة النص)، يرفض إيكو "البرنامج الأول، لأنه يقوم على ما يسميه النقد الجديد بـ"المغالطة القصدية"، ويقبل بالبرنامج الثاني، ويخضعه لعملية تفكيك، تبين أنه هو الآخر يبني على تعارض بين اتجاهين³³، أولهما بحث عن (قصد النص) في سياقه الخاص في انسجامه وإحالاته، أما الثاني ففي أنظمة القارئ الدلالية.

كل هذا يتجلى من خلال ما يمكن اعتباره ضرورة تأليفية ينبغي للمؤلف بدءاً منها "في سبيل أن ينظم استراتيجيته النصية، أن يلجأ إلى سلسلة من الكفايات (وهي أشمل من معرفة الأرموزات) التي من شأنها أن تمنح العبارات المستخدمة من قبله مضمونا، وهذا ما يلزمه التسليم بأن مجموع الكفايات التي يرجع إليها إنما هو ذاته ما يرجع إليه قارئه. لذا تراه يستشف وجود (قارئ نموذجي)، يكون جديرا بلتعاضد من أجل التأويل النصي، بالطريقة التي يراها، هو المؤلف، ملائمة وقمينة بأن تؤثر تأويليا بمقدار ما يكون فعله (المؤلف) تكوينيا"³⁴، حضور هذه الاستراتيجية بكفاياتها، لا يفترض نجاحها مع قارئ وإن كان نموذجيا، دون امتلاكه وسائل معرفية، وإجرائية، وخيارات لغوية، ومعطيات موسوعية وأخرى معجمية...

بتجاوز قصدية الكاتب، وانقسام قصدية النص بين النص والقارئ، وجبت "صياغة مفهوم جدلي ودينامي يدمج قصدية القارئ وقصدية النص في نسق تفاعلي، يلغي من جهة ثانية التعارض بين الاتجاه البنيوي (قصدية النص) والاتجاه ما بعد البنيوي (قصدية القارئ). يسمي "إيكو" هذا النسق التفاعلي بـ"التعاضد النصي"³⁵، الذي يعمل كقوة ملازمة لترافقهما ضمن مرجعية تقرر هذا التوافق، كاستراتيجية تمكّن من تفعيل النص وفق هذه الرؤية الممتدة بين المعطين المذكورين سابقا؛ (قصدية النص وقصدية القارئ).

في ظل هذا التعاضد يتبين أن هناك توجهها نحو هاته الرؤية التفاعلية، القائمة على استنتاج "أن للعمل الأدبي قطبان، ويمكن تسميتهما بالقطب الفني artistic والقطب الجمالي aesthetic فالقطب الفني هو نص المؤلف، والقطب الجمالي هو التحقق الذي ينجزه القارئ"³⁶، ففي ظل هاته القطبية الفاصلة بين الطرفين والتي تركز التعددية والاختلاف بشكل محتوم، والتي ترفض الاحتزالية المتلمسة في أفكار كل من المنتصرين بشكل مطلق لتموضع المعنى في النص، وكذا المنتصرين لتموضعه لدى المتلقي.

5. خاتمة:

ختاما يمكن القول: إن حركات التعاضد في كتاب استراتيجية التأويل بين النصية والتفكيكية لمحمد بوعزة، تخدم رؤاه وتوجهاته، وتتوافق معها من ناحية تركيزه على بعضها، بشكل أعمق من بعضها الآخر، مع تعمد إغفال حركات تعاضدية صغرى، والتغاضي عن الخوض فيها، كونها لا تخدم المسار العام لمؤلف في استراتيجية التأويل، والحاضرة منها كانت بارزة بشكل يجعلها تبين مدى فعاليتها في تحقيق المعنى، سواء في قصدية النص بسياقاتها وتحولاتها الإستمولوجية فيما قبل البنيوية، أو في قصدية القارئ فيما بعد البنيوية مع التحولات، والانقسامات الحاصلة في عمق الطروحات النظرية التي تؤطرها.

كما تبين أن الحركات التعاضدية في المؤلف قائمة في الأساس من أجل تجنب هاته الرؤية التفاعلية التي تمزج بين معايير النص وفعالية القارئ في التأويل، نتجنب "النظرية المحايثة التي تقول بوجود المعنى في النص، وأيضا المقاربة التفكيكية التي تسلم بسلطة القارئ المطلقة. إن أي نظرة شاملة للقراءة ينبغي أن تدرج في سيرورتها الأطراف البنيوية والتداولية الثلاثة، المشكلة لسيرورة اشتغال الدلالة:

النص نفسه بوصفه مجموعة من الدوال يجب تأويلها.

نص القارئ، أو القارئ بوصفه نصا.

تلاقي النص والقارئ، أي عمل الدلالة³⁷، لتجسيد التأويل في رؤية تفاعلية

تتعاضد فيها معايير النص وفعالية القارئ كاستراتيجيتين قرائيتين.

الإحالات

1- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية - التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية-، تر: أنطوان أبوزيد، ط01،

المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 87-88.

2 - بسام قطوس: استراتيجيات القراءة - التأصيل والإجراء النقدي-، مؤسسة حمادة ودار الكندي، الأردن، 1998، ص 31.

3 - المرجع نفسه، ص 31.

4 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ط01، دار الأمان، الرباط، 2011، ص 87.

5 - المرجع نفسه، ص 75.

- 6 - كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض، 1989، ص 22.
- 7 - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ص 62.
- 8 - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، تق: محمد علال سي ناصر، ط02، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، 2000، ص 59.
- 9 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 30.
- 10 - المرجع نفسه، ص 30.
- 11 - جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 288.
- 12 - المرجع نفسه ، ص 31.
- 13 - جاك دريدا: في علم الكتابة، تر: أنور مغيث، منى طلبية، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ص 74.
- 14 - مطاع صفدي: نقد العقل الغربي – الحداثة ما بعد الحداثة-، د.ط، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 198.
- 15 - المرجع نفسه ، ص 39.
- 16 - حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص 176-177.
- 17 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 42.
- 18- محمد بوعزة: تأويل النص –من الشعرية إلى مابعد الكولونيالية-، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018، ص: 116.
- 19 - أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، د.ط، مركز الإنماء الحضاري، سورية، دت، ص 82.
- 20 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 44.
- 21 - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة –دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة-، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2007، ص 143.
- 22 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 43.
- 23 - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية ، ص 62-63.
- 24 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 59.
- 25- محمد بوعزة: تأويل النص –من الشعرية إلى مابعد الكولونيالية-، ص 113.
- 26 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 59.
- 27 - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية ، ص 67.
- 28- محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 72.

- 29 - أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص 57.
- 30- محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص.73.72.
- 31 - جومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 20.
- 32 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 74.
- 33 - المرجع نفسه، ص 75.
- 34 - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ص 68.
- 35 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 75.
- 36 - سوزن روبين سلمان، إنجي كروسمان: القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط01، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، 2007، ص 129.
- 37 - محمد بوعزة: استراتيجية التأويل، ص 87.

قائمة المراجع المعتمدة:

- 01- إيكو أمبرتو، 2004، التأويل والتأويل المفرط، مركز الإنماء الحضاري، سورية، تر: ناصر الحلواني، دط، دت.
- 02- إيكو أمبرتو، 2016، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، تر: سعيد بنكراد، ط03.
- 03- مانغونو جومينيك، 2008، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، تر: محمد يحياتن، ط01.
- 04- روبين سلمان سوزن ،كروسمان إنجي، 2007، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط01.
- 05- بوعزة محمد، 2011، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، الرباط، ط01.
- 06- نوريس كريستوفر، 1989، التفكيكية النظرية والممارسة، دار المريخ، الرياض، تر: صبري محمد حسن.
- 07- بوعزة محمد، 2018، تأويل النص –من الشعرية إلى مابعد الكولونيالية-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط01.
- 08- عبد الكريم شرفي، 2007، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة –دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة-، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط01.
- 09- مونسى حبيب، 2007، نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران.
- 10- إيكو أمبرتو، 1996، القارئ في الحكاية –التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية-، المركز الثقافي العربي، بيروت، تر: أنطوان أبو زيد، ط01، .،

-
- 11- دريدا جاك، 2000، الكتابة والاختلاف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، تر: كاظم جهاد، تق: محمد علال سي ناصر، ط02.
- 12- ستروك جون، 1996، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، عالم المعرفة، الكويت، تر: محمد عصفور، د،ط.
- 13- دريدا جاك، 2005، في علم الكتابة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، تر: أنور مغيث، منى طلبية، دط، المشروع القومي للترجمة.
- 14 - صفدي مطاع، 1990، نقد العقل الغربي، -الحدائث ما بعد الحدائث-، مركز الإنماء القومي، بيروت.